اخفاق الأصدقاء

(مرقس ١٤:٢٧-٥٢)

تأليف: جو شوبيرت

المزمور الثالث والعشرون، هو بلا شك المزمور الأكثر محبة في الكتاب المقدس. به تم تعزية وتشجيع آلاف الرجال والنساء في أوقات الأزمات بكلمات الافتتاح لذلك المزمور: «الرب راعي فلا يعوزني شيء.» التفكير بان الرب راعي لشعبه، قد عمل على تعزية كثيرين خلال القرون.

لا بد ان اتمام هذا المزمور كان في فكر يسوع عندما اجتمع مع تلاميذه في تلك العلية في الاسبوع الأخير من حياته ليشاركهم العشاء الأخير. الكلمات التي استخدمها مرقس لكي يصف ختام العشاء الأخير وتحرك يسوع والرسل من العلية إلى جبل الزيتون تشير إلى رمزية الراعي في فكر يسوع.

الراعي المسحوق (مر ١٤:٢٦-٣١)

في إنجيل مرقس ١٤:٢٦-٣١، يسجل مرقس ما يلي:

> ثم سبحوا وخرجوا إلى جبل الزيتون.
> وقال لهم يسوع: إن كلكم تشكون فيَّ في هذه الليلة. لأنه مكتوب: أني أضرب الراعي فتتبدد الخراف. ولكن بعد قيامي اسبقكم إلى الجليل. فقال له بطرس: وإن شك الجميع، فأنا لا أشك. فقال له يسوع: الحق أقول لك، إنك اليوم في هذه الليلة قبل ان يصيح الديك مرتين، تنكرني ثلاث مرات. فقال بأكثر تشديد: ولو اضطررتُ أن أموت معك لا أنكرك. وهكذا قال أيضاً الجميع.

هذا النص يكشف لنا كيف عرف يسوع بجلاء كل ما كان سيحدث له. عندما غادروا العلية وساروا في طريقهم عبر ظلام الوادي نحو جبل الزيتون، اقتبس يسوع نبؤة من العهد القديم: «اضرب الراعي فتتشتت الغنم» (زكريا ١٣:٧) هذه الكلمات التي جاءت في سفر زكريا هي كلمات الله، نبوءة الله: «سيأتي الوقت الذي فيه يُضرب الراعي فتتبدد الخراف.» كان زكريا يتنبأ بالأحداث التي ستقع في الاسبوع الأخير من حياة يسوع: الألم المبرح في الجلجثة والخيانة على يد يهوذا والقبض والمحاكمة والصلب. كل هذا كان جزء من ضرب الراعي. يمكننا أن نرى كيف تبددت الخراف عندما نتطلع على الآية ٥٠ حيث قيل عن الرسل: «فتركه الجميع وهربوا.»

ربما كان يسوع لا يزال يفكر عن الراعي عندما قال للرسل في الآية ٢٨: «ولكن بعد قيامي، أسبقكم إلى الجليل.» أذكر ما قاله يسوع في الأصحاح العاشر من إنجيل يوحنا: «أنا هو الراعي الصالح. والراعي الصالح يبذل نفسه عن الخراف.» في الأصحاح نفسه، قال يسوع أيضاً: «ومتى أخرج خرافه الخاصة، يذهب أمامها...» لدينا نوع اللهجة نفسه في الأصحاح الرابع عشر من إنجيل مرقس. كان يعيد التأكيد لرسله بان بعد أحداث الصلب المظلمة، ستأتي أمجاد القيامة. وبانه سيسبقهم ليتقابلوا مرة أخرى في الجليل. لم يتحدث يسوع أبداً ولا مرة واحدة في الأناجيل عن الصليب دون أن يضعه مقابل نور القيامة المشرق. ومع ذلك، يبدو انهم لم يفهموا هذا

أبدا. لم يرغبوا ان يسمعوا حديث يسوع عن موته لأنهم لم يؤمنوا بقيامته!

٢. الرسل الواثقون بالنفس (مر ١٤:٢٧-٣١)

يصور هذا النص أيضاً ثقة بطرس وبقية الرسل بالنفس. قال بطرس ليسوع: «يا رب، وإن ضاع كل واحد منهم، فأنا لا أضيع.» كان بطرس يقول بالحقيقة: «يا رب، أنا أعرف عن الرجال الآخرين الذين اخترتهم أنت. لا يمكنك أن تثق فيهم. فانهم قد يضيعوا. وربما سيضيعوا. ولكني أقول لك، حتى وإن ضاع كل الباقين، فأنا لن أضيع. يمكنك أن تعتمد عليّ يا رب.» كان بطرس واثقاً بانه لا يفعل ما قد يفعله الباقون.

رأى يسوع بوضوح أكثر مما كان يراه بطرس. انه رأى بان ثقة بطرس كانت تعتمد كليا على التصميم الإنساني. انه علم كيف كان ذلك القرار ضعيفاً وقال: «الحق أقول لك: إنك اليوم في هذه الليلة، قبل أن يصيح الديك مرتين، تنكرني ثلاث مرات.»

لاحظ كيف بدأ يسوع يقلل الوقت ويقربه: «اليوم»، «في هذه الليلة»، «قبل أن يصيح الديك مرتين.» كان يقول: «سوف لا يمضي وقتاً طويلاً يا بطرس قبل ان يسقط هذا التصميم العظيم والثقة بالنفس اللذين تملكهما. في الساعات القليلة الباقية في هذه الليلة، قبل أن يصيح الديك في الصباح، سيضمحل هذا الولاء الذي قدمته.»

ولكن استمر بطرس بالأصرار بان يسوع كان على خطأ. يقول مرقس بان بطرس أصر بالتشديد. قال بطرس: «اني مستعد ان اذهب حتى النهاية. كيف تظن بانني سأنكرك؟ اني مستعد بل وأرغب ان ابذل نفسي من أجلك.» كان بطرس متأكداً من نفسه بانه لم يرى الخطر.

هل كنت يوماً ما مثل بطرس؟ أني كنتُ. كنت احياناً متأكداً من قراري وانني واثق ان اتعامل مع أية حالة بطريقتي الخاصة. كنت سأقول الشيء نفسه الذي قاله بطرس.

عندما قال يسوع: «كلكم تشكون فيَّ...» الكلمة التي استخدمها هي فعل في اللغة اليونانية من أصل كلمة تعني: يغري إلى الكمين. قد تناسى بطرس عن الكمائن التي قد تضعها الحياة لأفضل الرجال. قد تناسى بطرس كيف تنزلق خطوة رجل صالح على الصخور الزلقة. قد تناسى بطرس كيف يكون الإنسان ضعيفاً حقاً وكيف تكون افخاخ الشيطان قوية. ولكن شيء واحد يجب أن يذكر عن بطرس. كان قلبه في المكان الصحيح. قد يكون من الأفضل أن يكون بطرس بقلب يشتعل محبة، رغم ان تلك المحبة تسقط في لحظة، من أن يكون يهوذا بقلب بغض فاتر. كان بطرس يحب يسوع رغم وجود بضع اللحظات التي تلاشت فيها تلك المحبة، كما سيحدث من غير شك في حياتنا كلنا، تلك المحبة انتعشت مرة أخرى.

٣. التضرع المؤلم (مر ١٤:٣٢-٤٢)

يستمر سجل مرقس بالنص قد نخشى قرائته لأنه يبدو وكأننا نتدخل عنوة في ألام ربنا الخاصة. يبدأ في الآية ٣٢ كما يلي:

> وجاءوا إلى الضيعة اسمها جثسيماني، فقال لتلاميذه: «اجلسوا ههنا حتى أصلي.» ثم أخذ معه بطرس ويعقوب ويوحنا، وبدأ يدهش ويكتئب. فقال لهم: «نفسي حزين جداً حتى الموت. امكثوا هنا واسهروا.» ثم تقدم قليلاً وخرّ على الأرض، وكان يصلي لكي تعبر عنه الساعة إن أمكن. وقال: «يا أبا الآب، كل شيء مستطاع لك. فأجز عني هذه الكأس، ولكن ليكن لا ما أريد أنا، ما تريد أنت.» ثم جاء ووجدهم نياماً، فقال لبطرس: «يا سمعان أنت نائم؟ أما قدرت أن تسهر ساعة واحدة؟ اسهروا وصلوا لئلا تدخلوا في تجربة. أما الروح فنشيط، وأما الجسد فضعيف.» ومضى أيضاً وصلى قائلاً ذلك الكلام بعينه. ثم رجع ووجدهم نياماً إذ كانت أعينهم ثقيلة، فلم يعلموا بماذا يجيبون. ثم جاء ثالثة وقال لهم: «ناموا الآن واستريحوا. يكفي! قد أتت الساعة. هوذا ابن الإنسان يسلم إلى أيدي الخطاة. قوموا لنذهب. هوذا الذي يسلمني قد اقترب!» (الآيات ٣٢-٤٢).

عندما دخل يسوع في بستان جثسيماني، كان يطلب بركتين: الشركة مع الله والشركة مع أصحابه. في أوقات الاضطراب نريد بصفة دائمة ان يكون معنا شخص ما. ليس من الضرورة ان نطلب منهم قول أي شيء. نريد أن نعلم فقط بانهم هناك. انه غريب جداً بان الرجال الذين كانوا يؤكدون ولائهم حتى الموت، كانوا ضعفاء بحيث لا يمكنهم ان يسهروا ساعة واحدة بينما كان يسوع يصلي.

تتضح حقائق معينة عن يسوع في هذا النص. أولاً: لم يريد يسوع أن يموت. كان عمره في ذلك الوقت ثلاثة وثلاثون سنة، ولا يريد أي شخص ان يموت عندما تكون في أفضل السنين وأكثرها اشراقا في حياة ذلك الشخص على الأبواب. قد انجز يسوع قليل جداً مما تمنى حقاً أن ينجزه. العالم كله كان منتظراً ليُخدَم ويُخلَص. وكان يسوع يعرف أيضاً قساوة ورعب الصلب، ارتعد كل كيانه عند مجرد التفكير به. قد يفقد الصلب قيمته لو كان سهلا على يسوع. كان عليه أن يجبر نفسه على الأستمرار.

ثانياً: لم يعتبر يسوع التوسل إلى الله خارجا عن النظام. لاحظ الآية ٣٦: «وقال: يا أبا الآب، كل شيء مستطاع لك. فأجز عني هذه الكأس. ولكن، ليكن لا ما أريد أنا، بل ما تريد أنت.» كان يسوع يعلم بان الله يمكن القدوم إليه، حتى بما يختص الموت. كان يعلم بان الله يعطي الموت كما يعطي الحياة أيضاً. كان مستعدا ان يقبل قرار الله له ان يموت، ولكنه بصراحة وبشوق أراد ان يكون ذلك القرار غير ذلك. لهذا صلى قائلاً: «يا أبتاه، عبر عنى هذه الكأس. أريد غيرها. لا أريد أن أفعل هذا.» ولكن عندما قال: «ولكن، ليكن لا ما أريد أنا، بل ما تريد أنت» انه عبر عن قمة التطوع والخضوع التام إلى الله. ولنجرد اللغة من كل معناها إذا ما نحاول ان نبعد التضارب بين هذه الكلمات. كان هناك إرادتان: «ما أريد أنا» و «ما تريد أنت.» كانتا متضاربتان بعضهما البعض. صلى يسوع قائلاً: «ليكن لا ما أريد أنا، ولكن، ما تريد أنت.» كان التضارب حقيقة مبينة. لم يرد أن يموت، وطلب بكل جراءة سبيل الخروج.

ثالثاً: أستسلم أخيرا يسوع، تماماً وكلياً لإرادة الله. انه قَبِلَ الحكم الذي نطق به الله. وبعد عدة ساعات مَن الصلاة قام يسوع ومضى ليواجه الرسل. قال: «ناموا الآن واستريحوا. يكفى! قد أتت الساعة. هوذا ابن الإنسان يسلم إلى أيدى الخطاة. فقوموا لنذهب. هوذا الذي يسلمني قد اقترب!» عندما أصبح قصد الله واضحاً، قبله يسوع.

هذا النص يظهر أيضاً كيف تم التغلب بسهولة على عزم بطرس وتصميمه الصادق ليسوع. انهارت عزيمته كلياً لسبب واحد بسيط: كان متعب جداً إلى حد لا يستطيع ان يسهر. جاء يسوع ووجد بطرس ويعقوب ويوحنا نياماً. أيقظهم وقال لبطرس: «أما قدرت أن تسهر ساعة واحدة؟ قد لا يدوم عزمك هذه الفترة فقط؟» ثم قال لبطرس لماذا لا يستيطع ان يفعل ذلك. قال: «أما الروح فنشيط، وأما الجسد فضعيف.» لم يكن هذا بسبب عدم اهتمام بطرس والرسل الآخرين. بل ببساطة لم يفهموا خطورة ما كان يحدث في تلك الليلة. هذا قد زاد الأمرتعقيداً بالحقيقة الدالة على انهم كانوا منهوكين جسدياً. روحهم وقلوبهم قد تكون صادقة، ولكن لم تكن لهم القوة البدنية.

٤. الخيانة الشريرة
(مر ١٤:٣٤-٥٠)

الفقرة التالية تتحدث عن النتيجة التى تلت ذلك:

> وللوقت فيما هو يتكلم، أقبل يهوذا واحد من الاثني عشر ومعه جمع كثير بسيوف وعصى من عند رؤساء الكهنة والكتبة والشيوخ. وكان مسلمه قد أعطاهم علامة قائلاً: «الذي أقبله هو هو. أمسكوه وامضوا به بحرص.» فجاء للوقت وتقدم إليه قائلاً: «يا سيدي، يا سيدي!» وقبله. فألقوا أيديهم عليه وأمسكوه. فاستل واحد من الحاضرين السيف وضرب عبد رئيس الكهنة فقطع أذنه.

فاجاب يسوع وقال لهم: «كأنه على لص خرجتم بسيوف وعصى لتأخذوني؟ كل يوم كنت

معكم في الهيكل أعلم ولم تمسكوني. لكن لكي تكمل الكتب.» فتركه الجميع وهربوا (الآيات ٤٣-٥٠).

> هنا مشهد مثير. حتى في الكلمات المقتصرة التي يستخدمها مرقس ليخبرنا بالقصة، فكل منها تبدو ظاهرة بوضوح.

أولاً: نرى يهوذا، الخائن. كان يعلم بان الذين جاءوا ليقبضوا على يسوع، كانوا يعرفون يسوع، ولكن لا بد انه قد ظن بانه في ظلام البستان في الليل، كان من الضروري عليه ان يعطي علامة محددة لكي يقبضوا على الإنسان المعني. اختارالقبلة رمزا. كان في العادة ان تحي المعلم اليهودي بقبلة. كانت هذه هي الطريقة التي بها تظهر الاحترام والمحبة للمعلم المحبوب. ولكن ترى شيء رهيب في الأصحاح الرابع عشر من إنجيل مرقس. عندما قال يهوذا: «الذي أقبله هو هو»، في الآية ٤٤، انه استخدم الكلمة اليونانية «فيلين»، وهي الكلمة الشائعة للقبلة. ولكن في الآية ٤٥، عندما قال مرقس بان يهوذا تقدم وقبل يسوع، استخدم الكلمة «كَتافيلين» وهي الكلمة المشددة لـ«قبلة». هذه الكلمة كانت تستخدم لتعبر عن القبلة التي يقبل بها الحبيب حبيبته. رمز يهوذا للخيانة لم تكن قبلة عادية للاحترام، بل قبلة طويلة شديدة على الجبين، مثل قبلة الحبيب. لا شيء في كل سجلات الخيانة أكثر اشمئزازاً عن هذا السجل لقبلة يهوذا عندما قدم له بتعمد ما يبدو عمل محبة، أعده بلا احساس لكي لا يخدم شيئاً سوى أغراضه الشريرة.

ثانياً: في هذا المشهد المسرحي، كان هناك جمع للقبض {على يسوع}. قال مرقس بان الجمع مكون من رؤساء الكهنة والكتبة والشيوخ. تلك هي الأقسام الثلاثة التي يتكون منها السنهدريم، المحكمة العليا عند اليهود.حتى تحت سلطة الرومان القضائية كان للسنهدريم مسؤليات عسكرية معينة وامتيازات في أورشليم. وكانوا يحتفظون بالقوة العسكرية الخاصة بهم. لا شك بان حشد مختلط من أناس آخرين كانوا قد انضموا إلى الجموع عندما كانوا يسيرون في الشوارع نحو جبل الزيتون في تلك الليلة.

ثالثا: كان هناك الرجل الذي استل سيفه وضرب دفاعاً عن يسوع. لم يخبرنا مرقس عن هوية هذا الرجل، ولكن يوحنا في إنجيله يقول بان هذا كان سمعان بطرس (يو ١٨:١٠) كان بطرس وما زال يحاول ان يقوم بما كان قد عزم القيام به في وقت سابق. استل سيفه، وعندما أقبل رؤساء الكهنة والجنود على يسوع، بدأ يضرب بالسيف في كل الاتجاهات. استطاع أن يقطع اذن عبد رئيس الكهنة فقط. يخبرنا متى ولوقا في إنجيلهما بان يسوع مد يده، ولمس ذلك العبد، وشفى أذنه، وقال: «رد سيفك إلى مكانه! لأن كل الذين يأخذون السيف، بالسيف يهلكون» (متى ٢٦:٥٢).

رابعاً: في هذا المشهد ، أنهارت أعصاب الرسل أنفسهم، ولم يستطيعوا ان يتحملوا هذا. كانوا خائفون بان المصير نفسه الذي أتى ليسوع سيأتي عليهم، فتركوه.

أخيراً: بقى هناك يسوع وحده، في كل هذا المشهد المضطرب، كان يسوع المثال الوحيد للهدوء عندما نقرأ القصة يبدو وكأنه هو الذي كان يدير الأمور عوضاً عن السنهدريم. بالنسبة له، الصراع الذي كان في البستان قد انتهى. والآن، هناك سلام الإنسان الذي يعرف دون أي شك انه يتبع إرادة الله.

يضيف مرقس ملحق قصير في الآيتين ٥١ و ٥٢ والذي لا نريد أن نفقده. قال: «وتبعه شاب لابساً إزاراً على عريه، فأمسكه الشبان، فترك الإزار وهرب منهم عرياناً.» هاتان آيتان غريبتان وفاتنتان. عندما نقرأهما للمرة الأولى، يبدو أنهما لا علاقة لهما بالقصة مهما كانت. لماذا ضمتا؟

متى ولوقا في سجليهما المقابل، لا يضمان هاتين الآيتين. هاتان الآيتان تظهران فقط في إنجيل مرقس. يتضح بان لمرقس أهمية خاصة لهذه الحقيقة. لماذا اختار مرقس ان يضم هاتين الآيتين في سجله؟ الإجابة الأكثر احتمالاً هي ان الشاب في الآيتين لم يكن سوى

يوحنا مرقس نفسه، وهذه هي طريقته ليقول: «كنت هناك» دون أن يذكر اسمه أبداً. قد لا ينسى تلك الليلة. كان متواضع جداً بحيث لا يذكر اسمه. بهذه الطريقة كتب توقيعه وقال للذين يمكنهم أن يقرأوا بين السطور: «رغم انني لم أكن رسولاً، أنا كشاب كنت هناك تلك الليلة عندما قبضوا على يسوع، وهذا ما حصل لي.»

الخلاصة

في دراستنا لحياة يسوع، قد أعجبنا بالطريقة التي كان يسوع يستعد بها لكل شيء كان سيحدث له: سوء الفهم والمعارضة وبغض قادة الدين اليهود والخيانة من قبل أحد المقربين إليه، وآلام ومعاناة الصليب.

ربما ما كان يؤذيه أكثر هو سقوط اصحابه. عندما يكون الإنسان في ضيق، يكون في أمس الحاجة لأصدقائه، وكان هذا الوقت نفسه الذي فيه خيب أصحاب يسوع أمله.

لا شيء في كل مسلسلة التعذيب الجسدي والنفسي قد حجز عن يسوع. لهذا يستطيع كاتب الرسالة إلى العبرانيين أن يخبرنا فيما بعد بكل توكيد في عبرانيين ١٥:٤ و ١٦ قائلاً:

> ليس لنا رئس كهنة غير قادر أن يرثي لضعفاتنا، بل مجرب في كل شيء مثلنا بلا خطية. فلنتقدم بثقة إلى عرش النعمة لكي ننال رحمة ونجد نعمة عوناً في حينه.

مهما كانت الجاحة في حياتك اليوم، يعرف يسوع عنها ويفهمها ويتعاطف معها. انه يقف مستعداً لمساعدتك في كل لحظة عند الحاجة. ولكن لا بد أن تكون راغباً ومستعداً لتقبل مساعدته وتعمل بإرادته، مهما تتلطب تلك الإرادة.

جميع الحقوق محفوظة ٢٠٠٧